الموارد التعليمية المفتوحة: سياسات الولايات ودور المكتبات في خفض تكلفة الكتب الدراسية

ماريا ميلارد



الملخص:

يعرض المقال سياسات ومبادرات أمريكية لتخفيف أعباء الكتب الدراسية الجامعية عبر الموارد التعليمية المفتوحة، ويميز بين إتاحة المواد رقميًا وبين منح تراخيص تسمح بتعديلها وإعادة توزيعها. ويستعرض تشريعات وتجارب في كاليفورنيا وفلوريدا ومينيسوتا وداكوتا الشمالية وواشنطن، إلى جانب مبادرات مؤسسية ومكتبات كتب ومقررات مفتوحة في ولايات أخرى وعلى المستوى الوطني. ويناقش دور المكتبات والمدرسين والمصممين التعليميين في تطوير المحتوى وتحكيمه وإتاحته، مع عرض أمثلة للوفورات المحققة. كما يتناول تحديات التمويل والاستدامة وجودة المواد والحرية الأكاديمية وتفضيلات الطلاب بين المطبوع والرقمي. ويربط الموارد المفتوحة باستمرارية التعليم والتسجيل المزدوج، ويؤكد ضرورة تقويم أثرها في التعلم وخفض التكلفة ودعم الطلاب منخفضي الدخل وإزالة الحواجز أمام مشاركتهم.

الكلمات المفتاحية: الموارد التعليمية المفتوحة، الكتب الدراسية الجامعية، سياسات التعليم، المكتبات الأكاديمية، تكلفة التعليم

مقدمة:

حاولت موجة من السياسات خلال السنوات الخمس الماضية ضمان حصول الطلاب على مواد دراسية ميسورة التكلفة. وركزت الجهود التي شجعها قانون فرص التعليم العالي الأمريكي لعام 2008 على تأجير الكتب وإعادة شرائها، وتوفير الكتب المستعملة، وتعريف الطلاب بأسعار الكتب قبل فترة التسجيل في المقررات.

ومع ذلك ظلت التكلفة مشكلة. فوفق مكتب المحاسبة الحكومي ارتفعت أسعار الكتب الدراسية 82% بين 2002 و2012، وبلغ متوسط ميزانية الطالب السنوية للكتب واللوازم 1207 دولارات. وأوضحت الأسباب الموجبة لمشروع قانون كاليفورنيا (S.B.1053) لعام 2012 أن ميزانية الكتب السنوية في كليات المجتمع قد تقترب من 150% من الرسوم الدراسية، مما يدفع كثيرين إلى عدم شرائها. ولهذا بدأت ولايات تبحث عن وفورات أكبر تتجاوز تدابير القانون الاتحادي، واتجهت بقوة إلى الموارد التعليمية المفتوحة.

يتزايد الاهتمام الوطني والدولي بهذه الموارد لتخفيف النفقات عن الولايات المتعثرة ماليًا وتوفير ملايين الدولارات للطلاب. وهي موارد للتدريس والتعلم والبحث تسمح تراخيصها بالتعديل وإعادة التوزيع قانونًا، لوقوعها في الملك العام أو إتاحتها برخصة ملكية فكرية مفتوحة.

شجعت ولايات استخدام الموارد الإلكترونية والرقمية، لكن الرقمنة وحدها لا تعني حرية الاستخدام، وقد تظل تلك الموارد مرتفعة السعر. ويركز هذا المقال على المبادرات التشريعية وغير التشريعية التي تستخدم الانفتاح تحديدًا لخفض تكلفة الكتب في التعليم بعد الثانوي.

المبادرات التشريعية:

مع أن الاتجاه الأكثر شيوعًا هو إنشاء فرق عمل لدراسة الكتب المفتوحة والإلكترونية، فقد تجاوزت كاليفورنيا وفلوريدا ومينيسوتا وداكوتا الشمالية وواشنطن هذه المرحلة إلى دعم تطوير الموارد وتوسيع استخدامها وإنشاء مكتبات عامة لها.

كاليفورنيا:

ينشئ القسمان 66408 و66409 من قانون التعليم مكتبة كاليفورنيا الرقمية مفتوحة المصدر ومجلس الموارد التعليمية المفتوحة. وتجمع المكتبة المواد وتتيح عبر الويب للطلاب وأعضاء هيئة التدريس والعاملين العثور عليها وتبنيها واستخدامها وتعديلها بتكلفة قليلة أو معدومة.

ويحدد المجلس خمسين مقررًا من مقررات المرحلة الجامعية الدنيا لتطوير كتب ومواد عالية الجودة لها أو اقتنائها. كما يراجع المواد ويعتمدها ويشجع استراتيجيات إنتاج الكتب المفتوحة وإتاحتها واستخدامها في مكتبات الجامعات، على أن يقدم تقريرًا نهائيًا بحلول أول يناير 2016.

فلوريدا:

بدأت جهود فلوريدا في 2010 بتشجيع أعضاء هيئة التدريس على تطوير الكتب المفتوحة واستخدامها، بالاستفادة من المستودع الرقمي القائم للمواد التعليمية، وفق القسم 1004.085. ثم تطورت بإنشاء تعاونية خدمات المكتبات الأكاديمية.

وعدّل القانون (H.B.5101) لعام 2014 القسم 1006.73 لإقامة نظام موحد لأتمتة المكتبات تستخدمه جميع مؤسسات التعليم العالي العامة لتلبية احتياجات التعلم والتدريس والبحث. وأوجب وضع عملية موحدة لمراجعة الكتب والموارد المفتوحة واعتمادها. وترى (Open Doors Group) أن نظام ترقيم المقررات المشترك في الولاية يسهل التنسيق والتوسع في استخدام الكتب المفتوحة في مقررات المرحلة الدنيا.

مينيسوتا:

استخدمت الولاية الموارد المفتوحة هدفًا للتمويل المرتبط بالأداء. وينص (SF1236) لعام 2014 على جمع بيانات عن عدد الموارد المتاحة والمستخدمة، وخفض التكاليف التعليمية للطلاب 1%، وتوجيه الوفورات إلى دعم الموارد المفتوحة.

داكوتا الشمالية:

ألزم القرار التشريعي المتزامن 3009 لعام 2013 الإدارة التشريعية بدراسة استخدام الكتب المفتوحة في نظام جامعات الولاية، بما في ذلك الشراكات مع ولايات أخرى. وأفضى ذلك إلى مقترح في 2014 للشراكة مع جامعة مينيسوتا، التي أنشأت مكتبتها للكتب المجانية عبر الإنترنت في 2012. وأقر مجلس التعليم العالي ميزانية قدرها 500 ألف دولار، لكنها كانت عند كتابة المقال لا تزال تنتظر موافقة الهيئة التشريعية قبل إتمام الشراكة.

واشنطن:

تُعد واشنطن رائدة في السياسات الداعمة للموارد المفتوحة وتمويلها. فقد أوجب (H.B.1025) لعام 2006، المقنن في (RCW28B.10.590)، مراعاة اعتماد أقل طبعات الكتب تكلفة، بما فيها الموارد المفتوحة، والتعاون لتطوير موارد ويب ومكتبات مجانية.

وفي 2009 خصص (H.B.1244) مبلغ 1.2 مليون دولار لكليات المجتمع والكليات التقنية لدعم الإتاحة والقدرة على تحمل التكلفة وجودة المقررات. ونتجت عنه مكتبة المقررات المفتوحة، التي تضم خططًا وأنشطة وقراءات وأدوات تقييم قابلة للمشاركة، طورتها فرق من المدرسين والمصممين التعليميين واختصاصيي المكتبات وغيرهم. وترتبط بعض المواد بكتب لا تتجاوز ثلاثين دولارًا. وقد وفّر المشروع للطلاب حتى وقت المقال 5.5 ملايين دولار على الأقل، أي أكثر من أربعة أمثال الاستثمار الأصلي.

ويعد (H.B.1909) لعام 2011 اعتماد الموارد المفتوحة وسيلة لرفع الكفاءة في كليات المجتمع، وينقل نسبة من رسوم الطلاب لتمويل خطة تقنية استراتيجية تدعم الطلاب والكفاءة. وقد مهدت هذه الجهود الطريق لولايات أخرى لإنشاء مكتبات مقررات مفتوحة.

المبادرات غير التشريعية:

تمنح القوانين بعض المبادرات قوة واستقرارًا، لكن مبادرات لا تستند إلى تشريعات خاصة تحقق تقدمًا أيضًا. فقد أنشئت مكتبات على مستوى الأنظمة والمؤسسات في أريزونا ومينيسوتا ونيويورك وفرجينيا، وتقدم جامعة رايس مكتبة على المستوى الوطني.

أريزونا:

تخدم منطقة كليات المجتمع في مقاطعة ماريكوبا أكثر من 260 ألف طالب سنويًا، وهي الأكبر من نوعها في الولايات المتحدة. ويهدف مشروع (Maricopa Millions) إلى توفير خمسة ملايين دولار في خمس سنوات. وأنشئ فريق عمل ولجنة توجيهية لبناء الوعي، وتوفير التطوير المهني والدعم التقني للمدرسين، ووضع خطة تسويق.

مينيسوتا:

بدأت مكتبة الكتب المفتوحة في جامعة مينيسوتا في أبريل 2012 بمشروع في كلية التربية والتنمية البشرية. وتمثل نموذجًا يساعد المدرسين على العثور على كتب محكمة ذات تراخيص مفتوحة. وسجلت، وفق أحدث أرقام المقال، أكثر من 167 ألف زيارة منذ إنشائها، بمعدل يقارب مئتي زيارة يوميًا. ويقدم ديفيد إرنست ورشًا للمدرسين في أنحاء البلاد، وتنمو المبادرة عبر شبكة قوية من الكليات والجامعات.

نيويورك:

تتولى مكتبات جامعة ولاية نيويورك مبادرة (Open SUNY Textbooks)، بدعم منح الجامعة للابتكار في تقنيات التدريس. وأطلقت التجربة في 2012 لإنتاج مواد عالية الجودة ومجدية التكلفة، مع مشاركة أعضاء هيئة التدريس مؤلفين ومحكمين، وما تزال تتوسع.

فرجينيا:

يبرز نظام كليات المجتمع في فرجينيا، المؤلف من 23 حرمًا، في استخدام الموارد المفتوحة. وتقدم مبادرة المستشار منحًا للمدرسين لتطوير موارد للمقررات ذات الإقبال الكبير. وذهبت كلية تايدووتر أبعد بإنشاء برنامجًا للحصول على درجة علمية مدته سنتان دون كتب دراسية تجارية، يستخدم موارد مفتوحة في جميع المقررات. وتحذو كليتا شمال فرجينيا ورينولدز حذوها.

وتشير البيانات الأولية إلى أن درجات الطلاب واستمرارهم وإتمامهم للدراسة عند استخدام الموارد المفتوحة تماثل نتائج مستخدمي الكتب المطبوعة أو تتفوق عليها.

المستوى الوطني:

تقدم (OpenStax College)، وهي منظمة غير ربحية مقرها جامعة رايس، كتبًا مجانية عبر الإنترنت، ونسخًا مطبوعة بأسعار تتراوح بين ثلاثين وأربعة وخمسين دولارًا. ويراجعها مربون لضمان سهولة قراءتها ودقتها وملاءمتها لنطاق المقررات وتسلسلها.

وفي أبريل 2014 وقعت اتفاق توزيع مع جهة تابعة للرابطة الوطنية لمتاجر الكليات، لخفض تكلفة الشحن وتوسيع التوزيع إلى ثلاثة آلاف متجر. ويُعتزم إصدار كتب تستهدف مقررات يلتحق بها أكثر من مليون طالب سنويًا، مثل ما قبل التفاضل والتكامل وعلم النفس وتاريخ الولايات المتحدة.

تلبية احتياجات المدرسين:

ما تزال الكتب المفتوحة مجالًا ناشئًا للسياسات، ونتائج تقويم البرامج غير متسقة. فقد نقلت (Chronicle of Higher Education) شكاوى بعض مدرسي واشنطن من عدم توافر المواد التي يحتاجون إليها. وتشمل التحديات استقلال مؤسسات التعليم العالي والحرية الأكاديمية وجودة المحتوى ونقل النفقات إلى النظام التعليمي. وقد تتغير المواقف مع اتساع المواد المحكمة وتزايد القبول، لكن البحث المستمر ضروري.

تجربة الطالب:

وجدت دراسات أن طلابًا ما زالوا يفضلون المطبوع على الرقمي. لذا ينبغي تحسين التجربة الرقمية وتوفير نسخ مطبوعة منخفضة السعر. ومع التحول إلى الموارد المفتوحة تقل نفقات الكتب كثيرًا. ووجدت دراسة (Student Public Interest Research Groups) لعام 2013 أن مكتبة المقررات المفتوحة في واشنطن وفرت 5.5 ملايين دولار منذ إنشائها، وأن الطالب يوفر في المتوسط 96 دولارًا في المقرر مقارنة بكتاب تقليدي مرتفع السعر.

الكتب المفتوحة واستمرارية التعليم:

أشار فريق أوريغون لخفض تكلفة الكتب إلى أن التحول نحو نظام مترابط من ما قبل المدرسة إلى الدراسات العليا، واعتماد المعايير الأساسية المشتركة، قد يتطلب تنسيقًا أكبر للمواد التعليمية، وأن الموارد الرقمية والمفتوحة ينبغي أن تكون عنصرًا أساسيًا فيه. وقد تؤدي خبرة خريجي التعليم المدرسي بهذه الموارد إلى رفع توقعاتهم وتسريع التغيير في التعليم العالي.

التسجيل المزدوج:

تستخدم الولايات التسجيل المزدوج، الذي يجمع الدراسة المدرسية والجامعية، لتقليل الحاجة إلى التعليم العلاجي وزيادة الالتحاق بالجامعة وإتمامها، ولا سيما للفئات الأقل خدمة. لكن إلزام الطلاب بتحمل تكلفة كتب جامعية باهظة قد يحرم ذوي الدخل المنخفض وحتى بعض متوسطي الدخل من المشاركة.

وتعالج يوتا الكتب المفتوحة ضمن استراتيجية توسيع التسجيل المزدوج. فمقررات (TICE)، القائمة على التقنية، تقدم إلكترونيًا أو بصورة هجينة. ويشترط التشريع، متى أمكن، استخدام مواد مفتوحة متاحة لجميع مؤسسات التعليم العالي في الولاية لخفض التكلفة، وفق ((c)(4)101-15-53A). ويمكن لولايات أخرى اتباع هذا النهج في المقررات الإلكترونية والحضورية.

خاتمة:

تظل أسعار الكتب حاجزًا أمام التعليم بعد الثانوي رغم الجهود الملحوظة لخفضها. وتمثل الموارد التعليمية المفتوحة خيارًا ناشئًا للولايات والأنظمة والمؤسسات التي تسعى إلى تطوير مكتبات ومجموعات من هذه الموارد.

تزداد العناوين المتاحة وتتحسن الجودة مع تطور التحكيم، كما تتحسن الرسوم وإمكانات إضافة العلامات والتعليقات إلى النصوص الإلكترونية. لكن على الولايات فهم خبرات المدرسين والطلاب، ودعم المدرسين أثناء التغيير. وسيظل البحث في الاستخدام وأثره في التعلم والقدرة على تحمل التكلفة ضروريًا لخفض النفقات وإزالة الحواجز أمام الطلاب منخفضي الدخل.